المرضية باذن ربها على اكمل الوجوه واحسنها والنفوس الخبيثة لا يصح نباتها الا نكدا
ثم انه تعالى لما بين سوء عاقبة اصحاب النار وحرمانهم عن كل خير وذكر لهم ما يدل على
وحدانيته في تدبير ملكه وكمال علمه وقدرته و وجوب ابتغاء مرضاته والاجتناب
عن مخالفته وعصيانه اتبعه بذكر عاقبة من كذب الرسل المتقدمين كنوح وهود
كصالح ولوط وشعيب الى ان قال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات من السماء والارض ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون هدد الله
تعالى اهل مكة بان ذكر لهم قصص الانبياء المتقدمين مع اممهم المكذبين
فقال لقد ارسلنا نوحا الى قومه الى قصص الانبياء وهو جواب قسم محذوف
تقديره والله لقد ارسلنا قوله ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد [illegible]
الى انها قد تطلق بدون قد على الندرة كما في قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر
لناموا فما ان من حديث ولا صال لم يقل لقد ناموا بل اطلق لام جواب القسم بدون
اتيان كلمة قد معها والصالي يصطلي بالنار يقول اتيت الحبيبة خيفة تخاف من
اطلاع الرقباء الذين يتحدثون او يصطلون بالنار فحلفت لها حلفة فاجر اي كاذب
او عاهر ان القوم نيام ليس هنا حديث لانتهاء الحديث بسبب نوم القوم ولا من يصطلي
بالنار والتزم تعانق هذه الكلمة مع كلمة قد لان اللام المذكور مظنة التوقع لانها
لا تذكر الا بعد ذكر الجملة القسمية لفظا او تقديرا والجملة المقسم بها لا تساق الا لتاكيد
مضمون الجملة المقسم عليها التي هي جواب القسم ومن المعلوم ان الجملة اذا تاكدت
بالقسم وسمع المخاطب كلمة القسم صار بحيث يتوقع تحقق مضمون الجملة القسمية
فناسب ان يتصل كلمة قد بكلمة القسم لتعاضد في افادة معنى التوقع لان قد من حروف
التوقع قوله اول نبي بعث خبر قوله ونوح بن لمك يعني ان نوحا اول من بعث بعد ادريس وبعث
ادريس بعد شيث عم قيل ان نوحا كان نجارا بعثه الله تعالى الى قومه وهو ابن خمسين سنة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه بعث وهو ابن اربعين سنة قوله وقرأ الكسائي غيره بالجر على انه صفة
اله تابع لفظه ورفعه الجمهور حملا على محل اله لان الظاهر انه في محل الرفع على الابتداء وكلمة من زائدة في المبتدأ

المبتداء وخبره لكم ويحتمل ان يكون الخبر محذوفا لكون التقدير ما لكم من اله في الوجود غير الله
ويكون لكم على هذا مخصصا وتبيينا كما في هيت لك قوله وقرئ بالنصب على الاستثناء فان حكم غير
حكم الاسم الواقع بعد الا اي الاشراف الملاء الجماعة الا انه خص لا شرافهم هذا الاسم لانهم يملؤن (ملاء)
صدور المجالس وتمتلئ القلوب من هيبتهم وتمتلئ الابصار من رؤيتهم ومن المنظر الحسن
قوله بالغ في النفي حيث ان المناسب ان ينفي عن نفسه ما اثبتوه له ويقول ليس بي ضلال
لتوافق قولهم انا لنراك في ضلال الا انهم لما بالغوا في الاثبات حيث قالوا في ضلال
بتنكير الضلال ووصفوه بقولهم مبين بالغ في نفي الضلال عن نفسه حيث لم يقتصر
على انه ينفي عن نفسه ما اثبتوه من الضلال العظيم المبين بل قال ليس بي شيء من افراد الضلال
وجزئياتها فضلا عن ان يكون ضلالا عظيما بينا قوله باعتبار ما يلزمه باعتبار كونه ما
اثبت لنفسه من الرسالة في قوة لازم ما نفى عن نفسه من الاتصاف من وجوه
فان من انتفى عنه الضلال بالكلية يلزم ان يكون في غاية الهدى ولا شك
ان اثبات الرسالة لنفسه بمنزلة اثبات غاية الهدى وبهذا الاعتبار كان اثبات
الرسالة لها استدراكا من الكلام السابق لكونهما متنافيين بالنفي والاثبات كانه قيل
ليس لي شيء من الضلال ولكني على الهدى البالغ لاني رسول رب العالمين ثم ذكر ما
هو المقصود من الرسالة وهو امران تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة قوله حكاية لرسول
وكان الظاهر ان يقال يبلغكم وينصح لكم ويعلم باسناد الافعال الثلاثة الى ضمير الغائب
الراجع الى الرسول لان الضمائر التي في الصفات جارية على الرسول وهو اسم ظاهر منزل
منزلة الغائب الا انه رد على الضمير السابق الذي هو اسم ان وهو ضمير المتكلم فقيل
ابلغكم وكل واحد من الاستعمالين جائز في كل اسم ظاهر سبقه متكلم او مخاطب
ان شئت تراعي الضمير السابق وهو الاكثر وان شئت تراعي الاسم الظاهر
فتقول مثلا انا رجل فعلت كذا وتراعي جهة التكلم فيما اسند اليه الفعل وتقول ايضا
انا رجل فعل كذا فتراعي جهة الغيبة في المسند اليه وفي زيادة اللام في النصح لكم تاكيد
لاخلاص النصح لهم وفي بيان كونه خالصا للمنصوح له لا يقصد بالنصح الا منفعته لا نفع قرب

Copyright © King Saud University